المخيال السردي وعوالمه في التجربة السردية لموسى ولد ابنو
د. نعار محمد جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر

الخيال معتبر كونه المادة الرمادية للاستمرار ولمعرفة الحاضر إنه الكوجيتو الذي يمكن . حتى لا نقول ينبغي . من خلاله قيمة أن نكون في هذه الحياة ، حاضر هو معنا لكننا نعمل كثيرا على وأده ، يولد معنا حينما يكون فينا عفوا ونحن أطفال، دون استئذان أو مبرر يحجمه وعندما نرتمي بعنفوان العيش ومسلك واحد فيه لتدبير قاسي ننسى أننا كذلك ، إنهالخيال :" مجموعة الأفكار التي يمكن رؤيتها أو سماعها أو استشعارها أو تذوقها، فنحن نتفاعل عقليا مع كل شيء عبر الصور وعمليات التخيل والتفكير من العمليات الراقية التي مهدت للإنسان الوصول إلى حقائق لم يكن من الممكن إدارتها عن طريق الحواس[1].

الخيال انزياح وعدول الصورة :

الخيال أجنحة طائرة لا منكسرة ،كتابفي خلوة أو أحلامفي يقظة ممتنعة ، أن يرى الواحد نفسه في المرآة ، إنه اعتزال بمفهوم ما" إنه الملكة العقلية المؤكدة للتصورات الحسية للأشياء المادية الغائبة عن النظر وهي نوعان: إما أن يستعيد الصور التي شاهدها صاحبها من قبل، ويسمى عندئذ المتخيلة المتذكرة أو المستعيدة أو يعتمد صورا سابقة فتولد منها صورا جديدا وتسمى عندئذ المخيلة الخلاقة"[2]

منذ أن تعلق الإنسان بالطبيعة الهم المحاكاة فقادته الطبيعة إلى أبلغ ابتكار تمثل في إيجاد حروف محدودة يقوم عليها التواصل لقد قادت مخيلة الإنسان كي يكون كسائر الأمم التي تجاوره فيكون له لغة يتفاعل بها مع باقي أفراد جنسه " كالظل صورة الشيء المنعكس في المرآة قوة من قوى العمل تتخيل بها الأشياء، شيء على صورة الإنسان ينصب في الحقول والطيور والحيوانات إنسان فتفرّ[3].

---

[1]- هبة زكريا محي الدين كلاب، فعالية برنامج قائم على الخيال العلمي، مذكرة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة،فلسطين ، 2016، ص11

[2]-سمير ديوث، مجاز العلم: دراسات في أدب الخيال العلمي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، د ط، 2016، ص 76-77..

[3]- جبران مسعود، معجم رائد الطلاب، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص370.

كانت اللغة هي عالمه المثالي الذي تحقق في العلن والواقع بعدما كان يحاكي صورا تحيط به في ذهنه لا يقدر أن يبلغ بها الأخر أو عن مقصده منها فكانت اللغة هي لحظة الانجاز للصور الذهنية المجردة ، إنها "القدرة على تكوين صورة ذهنية لأشياء غابت عن متناول الحواس، وقد يوجد ما تكوّنه هذه القدرة من صور في مكان ما من عالم الواقع، أو قدر ينتمي إلى الماضي أو الحاضر أو المستقبل، وقد يعلو على ذلك كله دون أن ينتمي لفترة زمنية محددة أو ترتبط بعالم واقع محددّ[1].

إنها كذلك اللحظة الفارقة التي شكلت قطيعة على مستوى التفاعل والتواصل بين الحسي والمجرد بعدما كانت لغة التواص مكتفية بالحواس فكانت هذه اللحظة المثالية الخيالية ل "مجموعة الأفكار التي يمكن رؤيتها أو سماعها أو استشعارها أو تذوقها، فنحن نتفاعل عقليا مع كل شيء عبر الصور وعمليات التخيل والتفكير من العمليات الراقية التي مهدت للإنسان الوصول إلى حقائق لم يكن من الممكن إدارتها عن طريق الحواس[2].

اكتشف الإنسان قدرات جديدة أولا على مستوى الحس ثم على مستوى ردود الأفعال التي هي عبارة عن مواقف يغلب فيها الإنسان مداركه فكان لذلك ملكة وهذا بفضل تثوير الأفكار وتدويرها وعرضها على مخيلته لاحتواء الاحتمالات ومنها الوصول إلىأحكام:" إنه الملكة (الخيال) العقلية المؤكدة للتصورات الحسية للأشياء المادية الغائبة عن النظر وهي نوعان: إما أن يستعيد الصور التي شاهدها صاحبها من قبل، ويسمى عندئذ المتخيلة المتذكرة أو المستعيدة أو يعتمد صورا سابقة فتولد منها صورا جديدا وتسمى عندئذ المخيلة الخلاقة"[3]

تشعب هذا الاكتشاف ولم يعد له حدودا فتغذى بالفضول حتى شارف البشر ثورات صناعية كبرى ومعلوماتية وقطائع أصبح الخيال والافتراض وعوالمهما يكّون حضورهما الدول والأفراد ويهدم غيباهما الدول والأفراد كذلك وقد وجدت هذه الملكة لنفسهافضاءات تغذيها ومن بينها الأدب الذي لم يكن ليخرج عن هذه العلاقة التي جمعته بالخيال عموما منذ الأزل بمراتب الأفكار منذ الحضارات الأولى وهو يواكب تطورها من خلال ثلاثية لم يخرج عنها ما هو كائن وما هو يمكن أن يكون وما هو ممكن

---

[1]- جابر عصفور، الخيال أسلوب الحداثة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط2، 2009، ص09.

[2]- هبة زكريا محي الدين كلاب، فعالية برنامج قائم على الخيال العلمي، مذكرة ماجستير، الجامعة الاسلامية، غزة،فلسطين ، 2016، ص11

[3]-سمير ديوث، مجاز العلم: دراسات في أدب الخيال العلمي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، د ط، 2016، ص 76-77..

أن يكون "إنه الأدب الذي يعالج بكيفية خيالية مدروسة استجابة الإنسان لكافة ما يحيط به من تقدم وتطور عن العلوم وتقنياتها سواء كان في المستقبل البعيد أو القريب أو الآتي عن البعد الساحق[1].

نستطيع أن نقف في انتقاء مدروس ،مجموعة من التعريفات ،التي تصب في مقصدنا هذا أي ما يصل و يجمع الخيال بالأدب والتي نريدها أن تصب في صلب موضوعنا ، الذي نحن بصدد تقديمه ، خصوصا مع الرواية فهذا روبرت هيلين يرى في الخيال بأنه "تصور واقعي لأحداث مستقبلية محتملة الحدوث على نحو يركز بقوة على المعرفة الكافية بالواقع الحالي والماضي والحاضر، والإلمام بالطبيعة وأهمية الأسلوب العلمي"[2].

ويقدمه الكاتب رودسيرلينجعلى أساس أنه : "الفنتازيا :(و) هو تحويل المستحيل إلى شيء محتمل حدوثه، أما الخيال العلمي فهو تحويل ما هو غير محتمل حدوثه إلى شيء ممكن حدوثه"[3].

الخيال عند العرب: مادة الحياة ومادته الرمادية :

لا شك أن بوادر هذه الأفكار وتعهداتها وقرائنها نجد منها الكثير في تراثنا العربي وهو المؤكد لأننا نتحدث عن حضارة مع إبداعات لمشاريع تصنع فيها عوالم خيالية على غرار "المدينة الفاضلة "للفرابي في القرن الرابع للهجرة، و"رسالة الغفران" لأبي العلاء المعري حيث تحدث فيها عن السفر إلى السماء ورؤية الجنة والنّار، وحكايات "ألف ليلة وليلة "السندباد البحري "و"السندباد البحري"[4].وكذلك على مستوى الذائقة الشعرية عندما صدع أبو تمام وأقرانه في المذهب مشروع القراءة والخيال عندما أجاب السائل لم لا تقول ما نفهم ؟بقوله : ولم لا تفهم ماأقول ؟وشبيه هذا بما ورد عند عباس محمود العقاد في قولت المشهورة : لست مروحة للكسالى .

ولقد أسهم النقاد والمبدعون العرب في هذا المجال من خلال التأليف والتعريف بهذا الفضاء فها هو**سمير الديوث** متحدثا عن السرد يعرفه بقوله :" إنه خطاب سردي مبني

---

[1]- فيصل الأحمر، خرائط العوالم الممكنة، (في الاقتراب من الخيال العلمي)، دار فضاءات النشر والتوزيع، عمان، ط1، 2019، ص137.

[2]- صلاح الدين معاطي، الخيال العلمي عن العلم والخرافة، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014، ص9.

[3]-صلاح الدين معاطى، المرجع السابق، ص10.

[4]- ينظر: محمد عزّام، الخيال العلمي في الأدب، ص20.

على المعرفة، يعتمد على الخيال لبناء واقع متخيل يستمد بعض عناصره من الواقع المعيش لكن هذا الخطاب ليس أدبيا بحتا إنه علمي بمعنى يتناول حقيقة علمية تصور في قالب قصصي معتمد على الخيال"

أمامها **مظلوم** فتشير إليه في مرماه وفضائه المعهود ونقصد بذلك السرد لأنه أكثر الأجناس الأدبية رحابة به فتقول عن رواية الخيال العلمي:" إنها رواية مستقبلية تقوم على الحقيقة الثابتة حينا أو المتخيلة من جانب مجهول من الكون والحياة حينا آخر، وشخصيات اسمية أو رقمية غير مكتملة الهيئة النفسية والجسدية، تنقل زمان الخطاب الروائي –المسرود في الغائب- إلى زمان مستقبلي أو استرجاعي، متوهم إلى مكان خيالي، أحداثها مشوقة، ومثيرة تدفع إلى التفكير في نتائج هذا الخيال المتين أو الموظف، فتقدم حلولا مستقبلية كما يجب أن تكون عليه الحياة في ظل التقدم العلمي المتسارع[1].

لكن ينبغي الإشارةأن الاهتمام وإبراز هذا الفضاء كان في الغرب تحديدا وحتى إننا نجد تأصيلا وبيانا عن هذا الفضاء من خلال ما ورد في التاريخ الخاص بهم فلقد وجد الخيال عموما والعلمي منه اهتماما ورعاية وحتى من مدارستهم للشرق وتصوراته العجائبية عنه فكانت قصص إلف ليلة وليلة والسندباد والقصص على لسان الحيوان هذا فضلا في البحث "عن جذور هذا الأدب في أعماق موروثاتهم من النصوص التي تحتوي سرد المغامرات الخيالية والأحداث الغريبة والتنبؤات التي لم تبلغها معرفة البشر، وقد شمل ذلك ما يسمى باليوتوبيات الإغريقية مثل جمهور أفلاطون -la république

1929يرى فيها البعض ميلاد هذا المولود الجديد ويرى هؤلاء أن هوجوجرنسباك هو أب هذا المولود وأنه أطلق" على هذا الجنس من القصص الاسم الذي تلتصق به وهو أدب الخيال العلمي[2].

بينما من حرف به في اختصاص الكتابة والعناية به فقد مع الكاتب ويلز فاكتسب من خلاله مكانة مرموقة لنبوغه في هذا المجال ووفرة إنتاجهفيه .

وحسب البعض فإن مشروع الكتابة عند هذا الكاتب مر بثلاث مراحل حددها لأنها ستكون محطات مهمة في تاريخ هذا الأدب وهي كالتالي:

المرحلة الأولى: تمحورت كتابات ويلز حول المستقبل البعيد، جسّدتها رواية آلة الزمن 1895، وجزيرة الدكتورو مورو 1898، الرجل الخفي 1897 وحرب العوالم 1898.

---

[1]- لمياء عيطو، المرجع السابق، ص44

[2]- روبارت سكولز وآخرون، آفاق الخيال العلمي، ص46.،تر حسن حسين شكري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1996، ص46

المرحلة الثانية: انتقل فيها ويلز من التخيل العلمي إلى البحث القائم على التمحيص والتدقيق في ما يدرسه دون العودة إلى الخيال، وفي هذه الفترة قدّم روايات منها تاريخ الدكتور ديالي.

المرحلة الثالثة: كتب ويلز قصص أصول من التي كتبها من قبل مثل: عالم وليام كليسوند، وشكل الأشياء في المستقبل، وعقل العالم، بالإضافة إلى موجز تاريخ العلم ودراسات أخرى[1].

علىالصعيد العربي فنكتفي بالإشارةإلى بعض الكتاب الذين عُرفوا بالاهتمام والعناية بهذا الأدبمنهم: عبد الرحيم بهير من المغرب بروايته "مجرد حلم" 2004 والتونسي الهادي ثابت بـ "غار الجن" 2005 "ولو عاد حنبعل" 2004 ومحمد العشري بـ "هالة نور" 2002، والموريتاني موسى ولد ابنو بـ "حجّ الفجار" 2005، وطالب عمران "الأزمات المظلمة" 2003، والكاتب اللبناني "سمير شمص" برواية "عند حافة الكون" 2005[2]

أما في الجزائر فنجد الكاتب حبيب مونسى في روايته "جلالة الأدب الأعظم"، حيث يصور لنا الروائي حياة مستقبلية لمجتمع يبدأ سنة 2018 وينتهي سنه 2099 وهو مجتمع يتسم بالقتامة والسلبية، عملت فيه الآلة على تجريدالإنسان من مشاعره، تقوم هذه الرواية على مبدأ المحو والتجاوز، محو إنسانية الإنسان ومشاعره وتخطيها لبلوغ تعالي الآلة وقدراتها إلى تفوق الإنسان في البرمجة والاستجابة الفورية[3].

أهميته ومكانته:

لقي ويلقى هذا الأدب اهتماما ورعاية كبيرة في الأوساط الغربية والأسيوية لمعرفة هؤلاء وأولئك قيمته ومغازيه على كافة المستويات من الاختراعات والاقتصاد والتحقيقات ..وبات يحتل مكانة قصوى في الفنون والأدب خصوصا مع الرواية نستطيع أن نشمل هذه الرعاية والاهتمام في هذه النقاط :

على مستوى التفاعل :

تكتسي اللغة أهمية بالغة في رواية الخيال العلمي ببساطتها وسيولتها التي تعمل على سوق تداوليـة قد يصل معها الأمر إلى الإعتام رغم بساطتها وما تبدو عليه من مباشرة واقتصاد لفظي ذلك لعدم اقتران جامع بينها وهي تتيح للقارئ محاولة فك رموزها ، "فاللغة المستعملة في رواية الخيال العلمي ليست نفسها في أنواع الروايات الأخرى فهي

[1]- محمو قاسم، أدب الخيال العلمي، ص41

[2]- محمد أحمد مصطفى، أدب الخيال العلمي الراهن والمستقبل، ص89.

[3]- شعيب حليفي، نفسه، ص83- 84.

تتسم بالعلمية، سواء كان المراد هنا الألفاظ أم التراكيب أم المصطلحات وهذه اللغة تكاد تتصف بالتشابه والتكرار من أجل ذلك وقد تتصف بالغرابة"[1].

لعب بالاحتمالات :

من ميزاتها إثراء المادة الرمادية للقارئ حينما تستثيره في إبراز طاقاته حينما تتخذ جملة احتمالات ومخارج وأدواتوآليات يكون عليها العقد والفك .إنهاإحدى ميزات الإدراك في ما يمكن وقوعه حاضرا أو مستقبلاأودون زمن محددواضح ولهذا ليس من السهل أن تكون كاتبا في هذا الموضوع دون تمكن من ناصية وأهميةموضوع جدير وهو الزمن "يتداخل فيها خيال الكاتب مع الحقائق والنظريات العلمية الموجودة والمحتملة، ترسم أحداثا تقع في المستقبل أو في الماضي، تثير القارئ وتذهله، توهمنا بأن ما يجري من أحداث قابلة للوقوع ومحتملة الحدوث، وذلك انطلاقا من بعض التنبؤات التي يفترض العلماء حدوثها في المستقبل[2]

جنوح الخيال وغزارته:

يقترن بمخيلة الكاتب كفايةوأداءأين يقع تحكما بالزمن لأن نجاح العمل يقوم على هذا العنصر ثانيا المنظورات التي يمكن للكاتب أن يحصّلها ويتحكم فيها أيضا،نحن مع عنصرين بارزين في الكتابة السردية فقد تكون رحلة خيالية تعمل على تأطير العمل السردي من خلال مثلا "تسلل سكان الأرض إلى عوالم أخرى سواء كان الحاضر زمنا لهذا الرحلة إلى العوالم المجهولة في الأرض والفضاء، أم كان المستقبل القريب أو البعيد زمنا لها"[3].

العجائبي:

تتسم اللغة بما هو عجيب من حيث الصور المركبة والمحتملة والغريبة والغموض في كثير من الأحيان وبالتالي يصعب فهمها وتوجيهها "فبقدر ما يكسب القارئ الإحساس بغرابة هذا العالم الخيالي الذي ينغمس فيه بسبب جمعه عن طريق المقارنة بين الموسوعة الغرائبية المفترضة"[4]

---

[1]- لمياء عطيو، نفسه، ص45.

[2]- بوشعيب الساوري، في الرواية القريبة الانشغالات والخصوصية، مجلة فصول، النقد العربي، العدد 31، ص59.

[3]- بوشعيب الساوري، نفسه، ص 59.

[4]- لمياء عيطو، نفسه ، ص46.

الاسترجاع: وهو محور من محاور السرد التي يكونعليها هذا الجنس الأدبي لكن نرى أنه مع الخيال العلمي يأخذأبعادا مختلفة مغايرة هدفها أداء بعض التفاصيل التي تخص زاوية معينة من الحدث أوالأشخاص وهو بالمكانة التي عرف بها "قراءة المستقبل من قبل الخيال العلمي وعادة ما يكون الهدف منها الوصف المبرر أو الهادف وتمتاز هذه التقنية بقدرات تحليلية عالية في معالجة الأزمنة السردية[1].

يستوحي الخيال العلمي فضاء خاصا يقدم فيه موضوعاته على صعيد الأمكنة والشخوص

كالأطباق الطائرة والكائنات الغريبة أو الغزاة وغيرها...

و يمكن أن نجملها فيما يلي:

. المخلوقات: التي تتخذ شكل الإنسان مع إضافة عناصر حيوانية أو معدنية جديدة أو إجراء تحويرات على شكل الإنسان الأصلي، فيغدو الكائن بعين واحدة أو بعدة أرجل (أطراف) أو أعين، ولربما كان جلده مزروعا بالمسامير كالقنفذ وهذا الشكل ينتمي إلى الخيال العلمي التقليدي الذي تبناه ويلز.

. -المخلوقات الهلامية: التي لا شكل معين لها، وذلك لاتصافها بعدم الثبات والتحول إضافة إلى لونها الرمادي الشفاف ورائحة مقززة ....

. -المخلوقات النباتية: وهي أزهار ذكية تتكلم لغة الموسيقى وتنشر أحوالها عطور ساحرة

. -المخلوقات اللامرئية: وهي مخلوقات دقيقة "ميكروسكوبية"

. -المخلوقات البدائية

. -المخلوقات النورانية: في الغالب

. -المخلوقات المعدنية

. -المخلوقات البشرية: تتجسد في الإنسان الفضائي الذي يختلف عن هيئة وبنية الإنسان العادي إنهم بشر مثلنا[2].

بالعودة إلى الاشتغال السردي ومؤهلاته في احتواء هذا النوع من الكتابة داخل دائرة السرد كجنس أدبي نشير مرة أخرى إلى أهمية الزمن والمنظور أو الصيغة في هذا المجال إذ أنها تشتغل بكل طاقتها في هذا الميدان ونستطيع أن نستدل على ذلك من خلال

---

[1]- المرجع نفسه، ص47

[2]- ينظر محمد عبد الله الياسين، المرجع السابق، ص137.

حضور الزمن في الكتابة السردية وأهميته التي يكون عليها عادة ومنها نعرف ما يمكن أن يكون عليه من خلال الفضاء الجديد المتعلق بالخيال العلمي يرتودوروف:" بأن الزمن هو الذي يسمح لنا بالانتقال من الخطاب إلى التخيل ويوضح بأن هناك زمنين تقوم بينهما علاقات معينة تسمى الزمنية الأولى "زمنية العالم المقدم " والثانية زمنية الخطاب المقدم له"، أي التفريق بين الزمن القصة أو زمن الحكاية كما وقعت أو خيل وقوعها، والزمن الذي تنظم خلاله أحداث هذه الحكاية داخل الخطاب بمعنى تقديم هذه الأحداث فنيا، وهذا ما سماه الشكلانيون الروس المتن الحكائي أي ترتيب وتسلسل الأحداث قبل صياغتها في خطاب فني والمبنى الحكائي أي نظام الأحداث نفسها، لكن داخل الخطاب الأدبي الذي هو عادة الرواية.[1]

يبدو ما قدمه تودوروفكلاسيكي ولا يشبع فضول الفضاء الجديد كأننا ننتقل من ثورة إلثورة ، إنه زمن جائح لا يمكن بمكان إحجامه عن السير قدما لكن نستطيع أن نقول أنهتجمعه خصائص الانفكاك والتشظي أو ما يسميه البعض مفارقات زمنية .

مدينة الرياح

هي من روائع ما كتب الروائي الموريتاني عموما وما قام به تحديدا أستاذ الفلسفة والسياسي موسى ولدابنو ينبغي أن نعرف أن البيئة التي نحن معها علمية غزيرة بالتراث وبالمعارف الدينية خصوصا نستطيع القول إنها حاضرة علمية إلى اليوم ولا شك أن الفرد الموريتاني تشبع منذ سن مبكرة بقسط من هذه المعارف وهي التي تشكل فيه أولا شخصيته ثانيا هذه المدارك الممتازة التي نمت من خلال حافظته القوية لماذا نقول ذلك وماصلة ذلك بالرواية الموريتانية ؟ إنه فعلا الصورة الممتازة التي يمكن أن نفسر فيها هذا الدفق العلمي الغزير الذي نراه من خلال رواية حج الفجار مثلا التي كتبها موسى ولد ابنوكأنكأمام موسوعة علمية آوأطلس معرفي للبيئة العربية ما قبل الإسلام من خلال اللغة والطبع العتيق لها ثم من خلال التشكيل الشخصي وتوزيع الأدواركأنك فعلا أمام دراما عربية تحط بك الرحال في زمن ما قبل الإسلام ولهذا خصصنا لها جانبا مهما في موضوعنا من خلال تقنية الاسترجاع وكيف تخيل الكاتب وحقق في الرواية الرسمية التيكان عليها الموقف من خلال حادثة تاريخية مشهورة هذا يذكرنا بما فعله طه حسين

[1]-إدريس بوديبة، الرؤية البنية في روايات الطاهر وطار، دراسة نقدية، منشورات منتوري، قسنطينة، ط1، 2000، ص100.

في مجل تخصصه لا سيما مع كتاب: الشيخان مثلا وكتاب الشعر الجاهلي وهذا ما سنعود به بالتفصيل في مكانه.

تعتبر رواية مدينة الرياح رواية خيالية تشتغل على جهات بارزة تفصيلية في هذا المجال من أهمها اللحظة الاستشرافية المستقبلية التي عليها الأشياء وعلى هذا الأساس أردنا أن نحيط عملنا هذا على هذا الصعيد لا سيما صلته بالاستباق

الاستباق:

يعتبر الاستباق هو التوقع للمستقبل واستشرافه وهو: " تقنية ترتبط بما سماه تودوروف عقدة القدر المكتوب بهذه التقنية تتنافى مع فكرة التشويق التي تكون العمود الفقري للنصوص القصصية التقليدية التي تسير قدما نحو الإجابة عن السؤال وثم ماذا؟ وأيضا مفهوم الراوي الذي يكتشف أحداث الرواية، نفس الوقت الذي يرويه ويفاجئ مع قارئه بتطورات غير منتظرة ".[1]

إذا فالاستباق يقتل عنصر التشويق.

-أنواعه:

الاستباق التمهيدي: وهو الذي " يتخذ صيغة تطلعات مجردة تقوم بها الشخصية لمستقبلها الخاص، فتكون المناسبة سانحة لإطلاق العنان للخيال ومعانقة المجهول واستشراف أفاقه".[2]

الاستباق الإعلاني: ويختلف على الاستباق التمهيدي في كونه: "يخبر صراحة عن سلسلة الأحداث التي سيشهدها السرد في وقت لاحق، ونقول صراحة لأنه إذا أخبر عن ذلك بطريقة ضمنية يتحول تواً إلى استشراف تمهيدي".[3]

نستطيع القول أن المفارقات الزمنية من خلال الاستباق والاسترجاع قبل ذلك وهو ما سنقف عنده بشيء من التفصيل في رواية حج الفجار أنه ميزة كلاسيكية لا تزال تعرف طريقها في النمو عربيا لكن نستطيع القول أنها مع رواية الخيال العلمي عرفت طريقا مهما وهو ما يمكن أن نلمسه في أعمال موسى ولد ابنو طبعا عند الحديث عن هذه التقنية لا بد أن نستحضر أهم خاصية في تقنيات السرد إضافة إلى محدد الزمن الذي هو محمل ما يقع عليه تقنيا الاسترجاع والاستباق يدخل المحدد الثاني وهو

---

[1]- المرجع نفسه، ص21

[2]-سيزا قاسم، مرجع سابق، ص65

[3]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، الفضاء، الزمن، الشخصيات، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990، ص133

الصيغة أو عمل البتبئير بقوة في تنزيل كل الاحتمالات التي تتأطر نظريا وإجمالا على صعيد الاستباق والاسترجاعلاسيما من خلال أنماطه : الخطاب المسرود ، المسرود الذاتي ، الخطاب المعروضالمباشر والغير مباشر خصوصا المنقول منه اي من الاستباق والاسترجاع [1].

رواية مدينة الرياح ،هي رواية يصدح بها الخيال من عتبة العنوان ففي هذه المدينة ،التي أريد لها أن تكون في بيئة ليست بيئتها ،يقوم البشر بجرم بيئي بهدف استنزاف باطن الصحراء ،بتغيير معالم هذه البيئة في تشكيل كيانات ريعية خاصة بهم ، تتلخص الرواية في غلبة هذا الكيان ،رغم المواقف الرافضة فيعاد هيكلة الطابع الإنساني،بحيث يدخل إنسان المنطقة في عبودية جديدة ،تعبر عنها ترسانة زمنية صارمة ،بات من خلالها الإنسان جزءا من الآلة، التي يشرف على الاشتغال عليها وهذا ربما إشارةإلى العبودية الجديدة، التي أصبح عليها البشر ،العبودية الطوعية للآلة وأيضا هي إشارة مهمة للعبودية بالمفهوم الكلاسيكي ،الموجودة فعلا بموريتانيا فهي لحظة استشراف من قبل الكاتب لهذا الأمر ونستطيع أن نقول من خلال ذلك أن الرواية هنا هي استشرافية ،من جهة أخرى هي لحظة استشرافية للعدالة ،من خلال انتفاضة الطبيعة وهو ما يحمله عنوان الرواية ،من خلال غلبة منطق البيئة ، التي أريدأن يستنبت فيها كيان فيلقى مواجهة قاسية من جهة الطبيعة ومن جهة إنسان المنطقة بتمرد وتشكيل جيوب مقاومة،إنها لحظة استشرافية ليس بمنطق الصحراء هذا ، الذي يفرض نفسه ولكنه منطق الطبيعة فنرى معه اليوم تغير المناخ والجهود المبذولة لحماية البيئة واستشعار ظاهرة الاحتباس الحراري ،الذي تسبب فيه البشر وعجز منطق الكيانات الكبرى من الحد . على الأقل . من تخفيف الأضرار من خلال ملتقيات المناخ العالمية وما يلقاه هذا الملتقى ، من احتجاجات دورية من قبل فعاليات ومنظمات ،. تدافع عن البيئة فكذلك الرواية تعكس ذلك ،ربما أنها كتبت عن هذا الموضوع ، قبل أن تتفاقم هذه المشكلة حقيقية وتمس كل بقاع العالم ، من خلال اضطرابالمناخ وموجات الجفاف التي أضرت بالمنطقة .

تلتقي الرواية مع اعمل كثير مشابهة ،نتحدث هنا على الصعيد المغاربي، ما اختص به الروائي الليبي ابراهيم الكوني ، الذي عرّف بالصحراء وبأهالي هذه المنطقة ،خصوصا

[1] ينظر في ذلك :يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن ن السرد، التبئير) أحمد بوعزة، تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، حسان راشدي، أشغال الصيغة في الخطاب الروائي الجزائري (غدا يوم جديد، لعبد الحميد بن هدوقة جيرالد برانس، قاموس السرديات

أهاليالتوارق،الذين تحميهم العادات والنسق الثقافي للأجداد،الذي شدد على حفظ البيئة وعلى عقدهم الاجتماعي ،المستمد من الثقافة الترقية ،التي توصي بحماية البيئة في جزء كبير منها، على صعيد مثلا تحريم الذهب أو التبر ،لأنه مصدر الشر وتحريم التجارة لأنها تحمل الشر فهي رسائل من الصحراء ومن كتآب أهل هذه المنطقة إلى العالم للحفاظ على البيئة واحترام الخصوصية الثقافية والبيئية ومنطق توجيه وتغيير هذه الوجهة بالطغيان والحديد لا مكان لهلأنهوببساطة هناك غضب البيئة وغضب العادات التي تركها الأجدادوقبل ذلك هو إيمان بغضب رب البيئة ورب الأجداد.

رواية مدينة الرياح ،هي رسالة تنبيه لأن منطق الرياح هو التنبيه ،إنه منطق الحوار والتعقل والتفاعل الإرادي والاستشعار الطوعي لأهمية المشكلات،إنها استشراف للمآلات،التي هي آتية لا محالة بالصورة التي تقوم الرواية باستشرافه أو بما هو أسوء من ذلك ،إنها رؤيا للعالم من نافذة الصحراء ، إنها النصيحة التي هي من طبائع إنسان الصحراء ،لأن إيمان هذا الشخص المطلق الذي أكسبتهإياه الصحراء كفيل بأن يلقى غضبه على كل معتدي وهو غضب من غضب الله تعالى عندما تخترق السنن ويفتك عرى الورع فيكون الجشع ، الذي لا مناص من الحد منه إلابالتراب فمن التراب وإلى التراب ، هي خلاصة الرسالة التي جاء بها موسى ولد ابنو، ناطقا باسم الصحراء فيما عليه إنسان اليوم ، في عمل نوعي نستطيع القول أنه نجح إلى حد بعيد ووفق في الرسائل التي بلّغها ، في المكان والتوقيت المناسبين .

رواية حج الفجار:

تعمل هذه الرواية على اشتغال مغاير لرواية مدينة الرياح فإذا كانت الأخيرة تعطي لك مفاتيحها فتقرن من خلالها صوب وجهة معينة اخترناها وقمنا من خلالها تحليل هذا العمل السردي من خلال الاستشراف وبالتالي كان استدلالنا في محله عندما أدرجنا العمل ضمن خانة الخيال العلمي فالعكس هو كذلك حينما يقدم العمل السردي الثاني لموسى ولد ابنو نفسه بقرائن تتبرأ من كونه ضمن الخانة التي أردناأن ندرج فيها العملين في طائلة الخيال العلمي وهو ما عليه العمل عندما تسايره من اللحظة الأولىكأنه عمل تاريخي يحط بثقله أمام حادثة معينة لكننا "نستشرف"معه طابعا أخر يحيد عن العمل التاريخي المعهود أو عن كونه رواية تاريخية لأن نوعها موجود سلفا في دائرة السرد إنه يدفعك لقراءة مغايرة هل هي إعادة كتابة تاريخ؟ هل هو بعد استشرافي يعود للتخمين بطعم التفلسف (المعتزلة الجدد) الذي ينطلق منه الروائي؟ هل نرى من خلال موسى ولد ابنو حركة جديدة في التأريخ(المؤرخون الجدد) ؟على هذا الأساس أردنا أن نقف عند هذا

العمل من خلال تقنية الاسترجاع حتى نقف عند استشرافنا للتساؤلات التي وقفنا عندها في هذا العمل ومن هنا أردنا أن نساير العمل انطلاقا من الاسترجاع لنستشرف ما فيه من خلال دائما التقيد المنهجي والفني الخاص بتقنيات التحليل السردي القائمة على الزمن والصيغة .

أ- الاسترجاع:

تدل كلمة استرجاع على "سرد حدث في نقطة ما في الرواية بعد أن يتم سرد الأحداث اللاحقة على ذلك الحدث".[1]

كما أنه " عملية سردية تعمل على إيراد حدث سابق للنقطة الزمنية التي بلغها السرد".[2]

فالاسترجاع إذا هو العودة إلى زمن مضى والتحدث عنه في بعض المسائل وهناك نوعين على الاقل على الصعيد المركزي .

الاسترجاع الخارجي:

يعود الاسترجاع الخارجي زمنيا إلى ما قبل يستدعيها الراوي في أثناء السرد، "ويرتبط الاسترجاع الخارجي بعلاقة عكسية مع الزمن في الرواية نتيجة لتكثيف الزمن في السرد أي كلما ضاق الزمن الروائي يشتغل الاسترجاع الخارجي حيزا أكبر.[3]

الاسترجاع الداخلي:

يتيح الفرصة للروائي من أجل إعادة أحداث لماضيه بالقصة الرئيسية وبشخصيتها الرئيسية لمسارها الزمني و" يستعيد أحداث وقعت ضمن زمن الحكاية أي بعد بدايتها وهو الصيغة المضادة لاسترجاع الخارجي".[4]

ويقع بين النوعين المذكورين ما يسميه البعض **استرجاعا مختلطا:**

هو ذاك الذي يسترجع حدث بدأ قبل بداية الحكاية واستمر ليصبح جزءا منها فيكون جزء منه خارجيا والجزء الباقي داخليا.[1]

---

[1]- أحمد حمد النعيمي، المرجع السابق، ص 33.

[2]نظال الصالح، النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، د ط، 2001، ص196

[3]سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، د ط، 2004، ص59

[4] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان، ناشرون دار النهار للنشر، بيروت، ط1، 2002، ص20

1-لطيف زيتوني،ص 21.

الاسترجاعات الخارجية:

هي مجمل الأحداث السابقة عن مسار القصة الأولية وظفها السارد بكثرة سنعرض البعض منها فيما يلي:

- ما سرده أبو الاشهل حول ما شهده بمجنه "سأحكي لكم حادثة غريبة شاهدتها هذا الموسم بمجنه : فبينا أنا عند ألهتنا في نفر من العباد، وقد ذبح لها رجل من قيس عجلا ....صوتا أنفد منه

- وكذا ما قاله الشيخ من ذي المجاز:

"هل أنبئكم بأعظم من ذلك؟ كنت جالسا في الحجر مع سنان بن عوف بعد المغيب فانصرف سنان وبقيت تحت الميزاب ...نصب حولي من الأصنام وما استقسم به الأزلام؟"

أعاد الشيخ ما حدث له عندما كان جالسا في الحجر مع سنان بن عوف بعد المغيب

- إعادة سرد السارد لحادثة مجئ الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قريش.

" لقد جاءهم بهذا الدين الرسول منهم، يعرفون نسبة وصدقة ....ويعصمه الله منهمكما ورد استرجاع آخر حين سرد ما فعلته بنو جمح بالمسلمين .

"لقد فعلت بنو جمع لمسلميها ما فعلته سائر قبائل قريش، لكنا معشر مسلمي بني جمع لم نلاق من البلاء أذى ...حتى أنا، ابن عمه فإني لم أسلم من إيذائه"

أعاد لنا السارد الأحداث التي حدثت لتابعي محمد صلى الله عليه وسلم وما لحق بهم من أذى من قبل الكفار.

-سرد هجر الرسول والمناصرين إلى الحبشة نتيجة ما لح بهم من أذى من قبل قريش .

لما رأى رسول الله ما يصيبنا من البلاء... لم يدخل من مكة أحد إلا بجوار أو مستخفيا

-استرجاع عثمان بن مظغون عندما أجاره الوليد بن المغيرة .

"مكثت بقعيقعان وبعثت إلى الوليد بن المغيرة ليجيرني ...فقال نعم ... وانصرفت إلى داري والوليد بن المغيرة وولده محدقون بي السلاح حتى دخلت بيتي"

استرجاع أبا شمس الشكل الكعبة كما بنتها قريش .

" كانت الكعبة مبنية برضم يابس ليس بمدر.وكان بابها بالأرض ..ولم يكن لها سقف، وإنما تدلى الكسوة على الجذر م الخارج...وخشينا أن ينزل علينا العذاب"

2-الاسترجاعات الداخلية:

هي مجمل الأحداث التي وقعت داخل الحقل الزمني للقصة الأولية، يوظفها السارد متحدثا من خلالها عن أهمالأحداث التي وقعت، وفيما يلي سنعرض البعض منها:

-استرجاع خروج لبيد إلى المسجد الحرام مع حرميه.

" قبل ارتفاع الضحى كان لبيد قد تهيأ للخروج إلى المسجد الحرام ...وقد وقف عليه الصبيان والعبيد والنساء"

في أخر النهار عاد لبيد ومعه حرميه ورهط من بني عامر ..فأحس بشيء من البهر والارتعاش والرعدة والعرق"

لقد تم استرجاع ما حدث للبيد عندما عرض شعره على مجلس قريش.

استرجاع السارد حادثة مجيء لبيد إلى دار حرميه قبل طواف الإفاضة

"وكان لبيد قد جاء دار حرميه قبل الطواف الإفاضة يوم النحر فلم يجده"

تعددت أوجه السرد في الرواية، فهو يأتي خطايا مسرودا أو منقولا مباشرا على لسان الشخصية كما أنه يأتي خطابا منقولا غير مباشر على لسان السارد وعليه سنبدأ من.

الخطاب المسرود: هذا النوع من الخطابات يجسده المونولوج للإفصاح من نفسية الشخصية الروائية كما سنوضحه من خلال بعض الأمثلة في الرواية .

-قال لبيد في نفسه: لحا الله هذا الدهر إني رأيته .. بصيرا بما ساء ابن آدم مولعا"

-وكذا: اقشعر جلد لبيد وتساءل في نفسه : من الذي قتل ولم تزل نفسه طائرا مستوحشا يصدح على قبره، يطلب الثأر؟..."

وكذا ما قاله لبيد في نفسه عند رجوعه المضارب

-تساءل في نفسه : " هل ضللت الطريق"

-ما قاله لبيد عن حرميه

"كيف يصبأ هذا السيد من سادات قريش عن ديني آبائه "؟

ما جاء في نفس لبيد عندما قصد ربع بني جمح

حدثته نفسه:" ترى لو وحدته فبأي وجه سيلقاني "؟

على سبيل الاستخلاص :

الرواية الموريتانية، إطلالة على واجهة معرفية لهذا البلد ، الذي تجمعه مغاربيا ثقافة ونسقا معرفيا واحدا والرواية هنا،إحدى الفضاءات التي يكتشف من خلالها القارئ ، بسهولة طبيعة هذه المنطقة، انطلاقا من البعد الثقافي والمعرفي ، الذي يجمع بلدان المغرب العربي وبالتالي رأينا من خلال تجربة الكتابة ، عند الكاتب موسى ولد ابنوا أن الرواية والاشتغال على الكتابة والمعرفة مغاربيا ، له ميزة فهاهي هذه الأعمال تنقلنا إلساحة الخيال العلمي والخيال عموما ، الذي اعتبر ولا يزال أحد المكونات الأساسية في وجدان المنطقة، من خلال العرفان ولذلك تبدو تيمة الصحراء حاضرة عند الكاتب والتي يرى أنها لا محالة كفيلة، بإصلاح ما يفسده الإنسان وعلى صعيد أخر هي رؤية للعالم ورسالة إليه في هذا الباب ، من خلال الاستشراف والاستباق لهذا المنحى، كما هو في رواية مدينة الرياح واسترجاعية /استباقية، في التعامل مع التركة التراثية، من خلال رواية حج الفجار.